بورصة الحب

وقع الحادث الجلل بعد الحرب العالمية الأولى التي كانت تلقب بالعظمى وما هي بالعظمى اذا قورنت بالحرب الأخيرة . وقع عند « البلاج » الأكبر في رمل الاسكندرية في المقهى المكتظ بالنظارة الى المتداعين في الأمواج اللاجئة الى الجوّ وقد خفت حدتها وهبطت قمما ، والى المتمرّغين على الرمل والمتقافزين بالكرات .

كان الأستاذ فريد مجيد جالساً لدى خوان وحده وفي يده جريدة وناظراه يطوفان بالجلاّس تارةً وبالمتداعين أخرى . واذ وقعت عليه سيدة بثوب أسود ممشوقة القوام أسيلة الخدين كحلاء عجلاء دائمة الابتسام ، وهي ترمي ببصرها الى هنا وهناك تبحث عن مكان . فلم يدعها تطيل الوقوف . فوقف وقال : تفضلي يا سيدة اجلسي فأخلي الخوان لك .

فقالت : لا والله . لن تترك مكانك . عيبٌ ان أقعد وأنت تقف .

وتعلقت على كرسي آخر لدى خوانه وقالت : يا للذوق هناء ويا لقلة الذوق هناك .

وأومأت الى خوان خلفها وقالت : اما لاحظت يا بك اني قبل أن أترك مكاني المجاور لك ألقيت صدر الكرسي على الخوان لكي يُعلم ان المكان محجوز . فإذا بهؤلاء شغاره بلا استئذان كما ترى .

حقاً إنهم بلا ذوق . وأوشكت ان أعترضهم لكي أبلغهم ان المقام محفوظ لغيرهم . ولكني خشيت ان أسمع ما لا يرضيني لأنهم يعلمون كما أعلم ان المكان محجوز . وربما كانوا أصدقاء الحاجز .

— لا . لا . لست أعرفهم . وإنما أخاف التثقيل عليك يا بك .

— تثقيل ؟ إن مثل هذا اللطف الأثيري يا سيدتي لا يوزن بميزان بل يحمل على أجنحة الملائكة

— لا بدع فإني أشعر إني في جوّ ملائكي لطيف جداً . بيد أني أخشى أن يكون المكان محفوظاً لاصدقاء تنتظرهم .

— لا أتوقع ان أتشرّف بأصدقاء أشرف من هذا الشرف يا سيدتي . ولا أتوقع

مسروراً أسرّ لي من هذا السرور . فالمكان مكانك وان كان لا يليق بك، ولكن ليس هنا أليق منه .

— أيمكن يكون مكانٌ أليق من المكان الذي يقيم فيه مصدق الذوق ياسيدي . وإنما اذا عاد الصديق الذي كان معي ....

— يجلس مكاني وأمضي ياسيدتي .

— يا سلام ! لم أرَ في حياتي أرق من هذه الرقة السمحة .

— بلى . أنتِ .

فابتسمت ملءَ شفتيها وقالت : أظنني أصبت اليوم حظًّا سعيداً لم أصب أسعد منه في حياتي . فلا أنيمه . أظن حضرتك شاعرٌ . ولعلك أمير الشعراء .

أستغفر الله ياسيدتي . لست شاعراً وإنما أنا لسان الشعراء . أنا صحفي ينشر في صحيفته أجود الشعر وأطربه . واسمي فريد مجيد .

فاختلجت وقالت مبتسمة مازحةً : ويحي وقعتُ بين براثن الأسد . لا أدري أي نصيب يكون لي من قلم الصحفي المرهف الحاد .

— نصيب الزهرة النفيسة من تحفة الصائغ .

— صحيفة عربية أم أفرنجية ؟

— صحيفة العنتين جميعاً . اقلب العربي الى الأفرنجية . والأفرنجي الى العربية .

— ثه درك ! أليست صحيفتك « جريدة الوطن » .

— تشرفت جريدتي الآن بأن يبدو اسمها درة غالية من بين عقيق شفتيك ياسيدتي .

— إذن يجب أن أحاذر في الكلام أمام الصحفي لأن أقل هفوة لسان تُحسَب عليّ .

— مهما فرّطتِ ياسيدتي لا يمكن أن يصدر من هذا الفم العذب إلاّ الأدب الرائع . فاطلقي لسانك التي الطاهر ولا تخشي عثاراً . فلا يخرج من شاطىء الأدب إلاّ الدر النفيس

— حقًّا ياصديق . لا أقدر أن أجاريك بهذه المجاملات التجيلية .

— إنما هو تبجيل في موضعه ياسيدة . اذا لم أعطكِ حقكِ من الوصف أجرم جريمة تستحق عقاباً .

— لا ريب أنك شاعر، فان كنت لا تنظم فتكون ناحتاً الشعر حقه .

— هل قرأتِ لي شعراً في جريدتي ؟

— الحق أقول لك أني لا أقرأ في جريدة الوطن الاّ الأخبار والبورصة فقط لأني أعتمد على أقوال مكاتبكم البورصجي .

— أتضاربين في البورصة؟

— اني منغمسة في المضاربة في هذه الأيام . فقد كان زوجي رحمه الله سمسار بورصة . وذلك السيد الذي رأيته معي كان صديق زوجي وهو مضارب كبير فشجعني واشتريت الي قنطار قطناً منذ شرع القطن يرتفع . فاذا بعت بسعر اليوم أربح ٣٥ الف جنيه تقريباً .

— إذن فاذا تنتظرين ؟ لماذا لا تبيعين اليوم ؟

— انتظر الى أن يصعد السعر الى المئتي ريال للقنطار . فأخرج رابحة نحو ستين الف جنيه . ألا تضارب أنت ؟

— أنا ؟ إن مضاربة رعناء كهذه — لا تؤاخذيني — لهي القمار المنكر ، وأنا أكتب ضد القمار . فكيف أضارب .

— ولكنها فرصة سانحة نادرة للكسب . ألا تحب المال ؟

— لا . لماذا كثرة الألوف ؟

فهزت قبضة يدها وضربت بها الخوان ضربة خفيفة لطيفة وقالت : يالله . المال قوة .

— وأنا عندي قوة أعظم من قوة الستين الفاً . ماذا تفعل ألوفك هذه وفي الدنيا ملايين أمثالها . لا قيمة لألوفك هذه إلا حين تبتاعين بها شيئاً تستمتعين به . فبماذا تتمتعين سوى انك تعيشين عيشة الترف والبذخ . وهذه عيشة يعيشها ألوف من الناس .

— عجباً . وما قوتك أنت ؟

— أنا عندي المورد الذي يغنيني كما تمتلك الستون الفاً ، وعندي شوذ يحسب له الناس والهيئات الرسمية وغير الرسمية وأصحاب الاعمال الكبرى الحساب . بهذه القوة يمكنني أن أزعزع البورصة التي تضاربين فيها .

فاختلجت متهقهة وقالت : يا لطيف ألطف . بربك مهلاً الى أن أصفي حسابي في البورصة وأقبض ألوفي .

— أخاف يا سيدتي أنك لا تقبضين شيئاً إذا لم تسرعي الآن وتصفي حسابك .

— لا أصفي قبل أن يرتفع السعر الى المائتي ريال

— فابعثي مكاتب جريدتي البورصجي واستشيريه في الأمر .

— صاحبي الذي كان معي هنا خبير جداً ، ولقد أصبح الآن رابحاً ٣٠٠ الف جنيه . وهو يؤكد لي أن سعر القطن لا يقف قبل المائتين

فهز فريد رأسه وقال ضاحكاً : قصور في الهواء يا ....

— اسمي سعاد .

— يا سيدة سعاد ، ها صاحبك مقبل ، إذ شئتِ فنلتقي غداً في كازينو الشاطبي. فهو أقرب للبورصة من هذا البلاج ونتم نتكلم مليًّا .

وتركهما معاً ومضى .

***

كانت نهاية الساعة الأولى بعد الظهر في اليوم التالي حين أقبلت عليه سعاد برجه مشرق في كازينو الشاطبي . وقبل التحية قالت باسمة : أما قلت لك أن القطن سيصعد اليوم . لقد أقفلت البورصة على ١٨٥ وبالاً للقنطار .

وجلست . وقال : أوَما بعتِ حتى الآن ؟

— كلاَّ لن أبيع الاَّ بمايتين .

فقهقه ملء فيه وقال : وأظن الذين يشترون بمائتي ريال منك لا يبيعون إلاَّ متى ارتفع السعر الى المايتين وخمسين . فالأفضل ألاَّ تبيعي . هل تتفضلين بأن تتغدي معي ؟

— أوه . بألف الف شكر . أتغدى بكل شهية لأني مسرورة .

فقال مازحاً : لماذا الشكر وستدفعين ثمن الغداء من الستين الفاً المنتظرة . أليس كذلك ؟

— طبعاً طبعاً

— قولي لي ماذا تفعلين بالستين ألفاً متى صارت بيدك

— سأشتري بالمضاربة . اشتري أسهم القنال مثلاً (ضاحكة) ولكن قل لي . ما قولك اذا اشتريت « جرنالك » وتبقى أنت رئيس التحرير العربي وأنا رئيسة التحرير الافرنجي

فقهقه وقال : انها فكرة بديعة لم تخطر على بال مضارب . كم تدفعين ثمن الجريدة ، وكم تعينين لي ماهية .

— أدفع ثمن الجريدة خمسة آلاف جنيه . ألا تكفي ؟ وماهيتك خمسين جنيهاً في الشهر . « كويس كدا » ؟

— كثر الله خيرك ... الستون ألفاً التي تُمثِّلين نفسك بها لا تكفي ثمن الجريدة

والثلاثماية جنيه ماهية لي تكفي لأجل خاطرك

— وي . وي . أنت نهّاب غير وهّاب . هل تكسب أنت هذا المبلغ الآن ؟

— أكسب ضعفيه . ولذلك قلت لك ان الستين ألفاً لا تكفي لأنها لا تأتي بربح يساوي المكسب الذي أكسبه .

— اذن أشيء أنا جريدة جديدة لنفسي . ماذا يعنني ؟

— تضيعين الستين ألفاً في ستة أشهر . هذا ان حصلت على الستين ألفاً .

— يا لله . أراك حاقداً متشائماً بشأني . الستون مضمونة .

— اذا كنتِ واثقة فأنصح لكِ أن تعفي حسابك غداً صباحاً بسرعة ولو صُفّيت الستون ألفاً ناقصة .

— يا لله . على مَ تبني هذا التعجيل ؟

— على أن تضاعف ثمن القطن بهذا القدر الباهظ جنون مطبق . لا يوجد في سطح الكرة الأرضية مصنع غزل ونسج يشتري القطن بمايتي ريال [1] . فكم يبيع نسيجه اذن ؟

هزّت رأسها غير مقتنعة بهذا الكلام . ثم قالت : أكلمك جدّيًّا الآن . هل تشاركني بجريدة الوطن وأدفع لك نصف ثمنها عشرين ألف جنيه ؟

— أشاركك بها من غير أن تدفعي ثمناً البتة اذا شئتِ .

— كيف ؟ لماذا ؟

إذا شئتِ أن تشاركيني في الحياة والفكر والآمال، فشركتك هي أغلى ثمن . أقدم لك نصف الجريدة مقابل رضاك بهذه الشركة . فما قولك ؟

فاكفهرت قليلاً وابتسمت بسمة الابتهاج وقالت . هذه مسألة خطيرة . مسألة فيها نظر . سأجاوبك بعدئذٍ .

* * *

في اليوم التالي صدرت جريدة الوطن وفيها التلغراف التالي :

(١) بعد مدة الحرب الماضية ارتفع القطن الى ٢٠٠ ريال بالفعل ثم تدهور بعد ذلك الى ٤٠ ريالا .

« قابل مكاتب جريدة نيو اورليانس الأميركية السنر هوفان رئيس بورصة القطن في نيو اورليانس في ولاية لوزيانا في أميركا وسأله عن رأيه في تصاعد أسعار القطن في جميع مصادره . فأجاب ان هذه الأسعار المتصاعدة غير معقولة لأنها غير طبيعية . فالمصانع تفضل أن تقفل أبوابها وتنتظر الموسم القادم على أن تشتري بهذه الأسعار الفاحشة لأنها لا تستطيع أن تبيع منسوجاتها بأسعار فاحشة »

وما انتشرت جريدة الوطن بهذا التلغراف المفاجيء حتى ارتجّت بورصة القطن وشرع مالكو القطن يعرضونه بحسب السعر الأخير وبأقل منه فلا يتقدم لهم شاروت . وأقفلت البورصة على سعر ١٥٠ بعد أن كان السعر ١٨٥

في اليوم التالي اجتمعت سعاد بالأستاذ فريد في كازينو الشاطيء وهي في غاية الاضطراب وقالت : ويلاه . البورصة في انهيار يا أستاذ فريد . عرضت اليوم بسعر ١٢٠ فلم أجد شارياً وأقفلت البورصة بسعر ١١٠ ريالات

— اذهبي غداً صباحاً باكراً جداً واعرضي البيع بسعر ٥٠ ريالاً ، فاذا نجحت بهذا السعر فاشكري الله .

— ويلي . كيف أخسر ستين ألفاً بلفظة فم .

— خير أن تخسري الستين من أن تخسري كل شيء . هل دفعت كل الثمن الاصلي أم عليك منه دين ؟

— لم أدفع إلا ستة آلاف وهي كل ما كان عندي . هي تلك الثمن . والبنك دفع الباقي . ان هذه الكارثة نتيجة التلغراف الذي نشرته في جريدتك يا أستاذ . أما كان يحسن بك أن تحذرني قبل أن تنشره .

حذّرتك مراراً ونصحتك كثيراً فلم تقبلي نصحي . ولعلك كنت تستخفين بقوتي الى أن شعرت بها حين هزت البورصة وزعزعتها ، وهي تتداعى الآن . الويل للمضاربين الهوج الرعن . اسرعي غداً صباحاً وبيعي بأي ثمن لأن « ستيلك » لم تبق لها قيمة .

* * *

وذاع تلغراف جريدة الوطن في جميع أوروبا وأميركا الى أن ورد الى جريدة التيمس

تلغراف من نيو أورليانس (ونقل عنها الى كل العالم) « ان هذا الحديث الذي نسب الى هوفان لا أصل له ، بل هو مختلق ولا وجود لشخص في بورصة نيو أورليانس باسم هوفان . ولعلّ جريدة الوطن المصرية مختلقتهُ . ولكن محتوى التلغراف هو الصواب بشأن تصاعد أسعار القطن . فالشخص الذي اختلقه أصاب كبد الحقيقة »

في صباح اليوم التالي جاءت سعاد الى كازينو الشاطبي حيث كان الأستاذ فريد ينتظرها وهو يتوقع نكبتها . أقبلت عليه مقرّحة الجفون متورّمة العينين من البكاء فتلقاها واقفاً قائلاً : مالك يا عزيزتي تبكين :

— آه ـ آخ . ويلي خسرت كل شيء . الأصل والفرع . الربح . ورأس المال أيضاً . فقد وصلني صباحاً خطاب من البنك مستعجل يطلب التصفية ، فذهبت اليه فاذا هو قد سلبني حسابي ولم يبق لي شيء سوى إنه يطالبني بعجز مئتي جنيه . ويلي . خسرت كل شيء خسرت كل شيء . هذا بسبب تلغرافك .

— تلغرافي لم يأتِ بالكارثة بل عجل بها لأن بورصة القطن كانت عتزماً لها الانهيار . المال فداك يا عزيزتي . لا تجزعي . لم تخسري إلاّ المال الذي كان يتطاير في الهواء . وأما شخصيتك التي لا تساويها كل أموال الدنيا فباقية . خذي هذه الوثيقة .

ودفع اليها ورقة فقرأت فيها عقد مشاركة بالجريدة بينها وبينه وطما من الحقوق ما له فقالت : ولكن ليس عندي ثمن النصف .

— إذا شئت أن تدفعي ثمناً فتكرمي بهذه اليد الطاهرة الكريمة فهي أثمن من كل شيء عندي .

قدمت يدها فقبلها قبلات حارة وهو يقول : لقد ملكتِ أعظم ثروة في الدنيا .

وهي قبلته وقالت : حمداً لله لم أخسر شيئاً بل كسبت كل شيء ثمين ونفيس في الدنيا .

وعقدا عقد الزواج في نفس النهار في بورصة الغرام .